

## السيدة نفيسة (رضوان الله عليها)

### حفيدة الإمام الحسن (ع)

علي محمد علي دخيل - لبنان

#### نسبها ونشأتها

هي ابنة الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ، ونشأت في المدينة المنورة. ومنذ صغرها، كان والدها يلقنها ما تحتاج إليه في دينها ودنياها، وتفرغ لتعليمها في حرم رسول الله (ص)، الذي لم تكن تفارقه. وكثيراً ما أمسك والدها بيدها في الحضرة النبوية، وقال: يا سيدي يا رسول الله، إني راض عن ابنتي نفيسة، حتى رأى في المنام الرسول (ص) يقول له: إني راض عن نفيسة برضاك عنها، والحق سبحانه راض برضائي عنها ومنذ صغرها عرف عنها حبها للعبادة من صلوات وأذكار وتلاوة القرآن الكريم والأدعية المأثورة وحفظ الأحاديث، حتى لقبت بنفيسة العلم. وقد حجّت إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة، أدت معظمها ماشية، وكانت تتعلق بالكعبة وتبكي بكاءً شديداً وهي تقول: إلهي وسيدي ومولاي متعتي وفرحتي برضاك، فلا تسبّب لي سبباً به عنك تحببني.

#### زواجها

تزوجت السيدة نفيسة من إسحاق المؤمن ابن الإمام جعفر الصادق (ع)، وولد لهما القاسم وأم كلثوم.

#### قدومها إلى مصر

في حجّتها الثلاثين إلى بيت الله في مكة المكرمة، دعت السيدة نفيسة أن يوفقها الله تعالى لزيارة قبر النبي إبراهيم (ع)، واستجاب الله تعالى دعوتها، فتوجهت مع زوجها إلى بلاد الشام، فمكثا هناك بعض الوقت، ثم توجهتا إلى مصر سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م)، في ولاية الحسن بن بحاح من قبل هارون الرشيد. وكان صيتها قد ذاع في الأقطار، لما عُرف عن عبادتها وعلمها وتقواها، وكيف لا تكون كذلك وهي فرع من دوحة النبوة الكريمة، ومن أغصانها الذين طهرهم الله تطهيراً. ولما سمع أهل مصر بقدومها، تلقّاها الرجال والنساء بالخيول واليهودج، رافعين المصاحف والمشاعل، مكبرين ومهللين عند مدينة العريش.

في بادئ الأمر، استقبل والي مصر السيدة نفيسة في منزله، وكان من أهل الصلاح والتقوى، ومن محبي أهل البيت (ع)، ثم نزلت بدار أحد التجار الكبار ويدعى جمال الدين الجصاص، ومكثت بها شهراً، والناس يقدون عليها من كل حدب وصوب، حتى إذا ضاقت الدار، انتقلت إلى دار تملكها سيدة تقية اسمها أم هانئ بناءً لإلحاح تلك السيدة، بعد ذلك انتقلت إلى دار أخرى.

وفكرت السيدة نفيسة في العودة إلى المدينة المنورة، لتقضي بقية عمرها في هدوء وانقطاع للعبادة..

### إصرار المصريين على بقائها في ديارهم

لما علم أهل مصر بعزم السيدة على العودة إلى المدينة المنورة تجمهروا حول منزلها، وحول منزل الوالي السري بن عبد الحكم بن يوسف، ليقنع السيدة نفيسة بالبقاء، لكنها قالت له: "إني كنت قد اعتزمت البقاء عندكم، غير إنني امرأة ضعيفة، قد تكاثرت الناس حولي، فشغلوني عن أورادي وجمع زادي لمعادي، والدار ضيقة".

ويرجوها والي مصر وأعيانها، ويختارون لها داراً فسيحة في درب السباع، هي دار أبي جعفر بن هارون السلمي، فتوافق على البقاء، على أن يُحدد يومان في الأسبوع ليزورها المؤمنون يستمعون إليها خلالهما، وتدعو لهم. فكان يوماً الأربعاء والسبت لذلك، ثم تنقطع بقية أيام الأسبوع للعبادة. وكان يفد عليها أئمة الفقه الإسلامي وكبار العلماء، كما كان يفد عليها أهل الخاصة والعامة.

### ماتها

لما أحست بدنو أجلها، حفرت قبرها بيدها في بيتها، وكانت تنزل فيه وتصلي كثيراً، كما قرأت فيه القرآن الكريم ١٩٠ مرة. وعنها تقول السيدة زينب ابنة أخيها يحيى: "خدمت عمتي السيدة نفيسة أربعين عاماً، فما رأيتها نامت بليل، ولا فطرت بنهار، إلا العيدين وأيام التشريق، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون".

وزاد عليها المرض في أول جمعة من شهر رمضان وهي صائمة، وقد أشار عليها الأطباء بالإفطار، فقالت: "واعجابه! لي ثلاثون سنة أسأل الله أن يتوفاني وأنا صائمة، أفطر الآن؟! معاذ الله".

وعندما هدأ الليل، ووصلت إلى آية ﴿لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ [من سورة الأنعام] فاضت روحها الطاهرة.

### دفنها في مصر

شاع نبأ وفاة السيدة نفيسة، فاجتمع خلق كثير حول منزلها لا يغادرونه، وأوقدت الشموع تلك الليلة في جميع الأرجاء والنواحي، وسمع البكاء والترحم في كل دار.

وأراد زوجها إسحاق أن يحملها إلى المدينة المنورة لكي يدفنها في البقيع، فاجتمع أهل مصر إلى الوالي عبد الله بن السري بن الحكم واستجاروا به عند زوجها ليرده عما أراد فأبى، فباتوا منه في ألم عظيم. فلما أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوه مستجيباً لرغبتهم، فلما سأله عن سبب هذا التحول قال: "رأيت رسول الله (ص) في المنام يقول: "يا إسحاق، لا

تعارض أهل مصر في نفيسة، فإن الرحمة تنزل عليهم ببركاتهما". وكان يوم دفنها يوماً عظيماً مشهوداً، فقد هرع أهل مصر من أقصى البلاد وأدناها فصلوا عليها، ودفنت بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر التي عرفت فيما بعد بكوم الجارحي، وذلك سنة ٢٠٨ هـ. وخرج إسحاق المؤتمن بعد موت زوجته السيدة نفيسة من مصر ومعه ولداه منها القاسم وأم كلثوم إلى المدينة المنورة حيث ماتوا ودفنوا بالبيع.

### مما قيل في بركة دعائها

أورد المؤرخون جملة من كراماتها وبركة دعائها، حتى أن الشافعي كان يزورها طالباً منها الدعاء. وقد جاء في الخطط المقرزية أنه كان بجوارها قوم من أهل الذمة، ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط، وفي يوم من الأيام، ذهب أهلها في حاجة من حوائجهم، وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة، فتوضأت، وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة، وسمت الله تعالى، فقامت تسعى على قدميها، ليس بها بأس البتة، فلما قدم أهلها وعابوها تمشي، أتوا السيدة نفيسة، وقد تيقنوا أن مشي ابنتهم كان ببركة دعائها، وأسلموا بأجمعهم على يديها، فاشتهر ذلك بمصر.

وهناك قصة ثانية وردت أيضاً في الخطط المقرزية، تقول أنه أسر ابن لامرأة ذميمة في بلاد الروم، فأنتت إلى السيدة نفيسة وسألته الدعاء أن يرد الله ابنها عليها، فلما كان الليل لم تشعر الذميمة إلا بابنها وقد هجم على دارها، فسألته عن خبره، فقال: يا أمه، لم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد الذي كان في رجلي، وقائل يقول: أطلقوه، قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن (ع)، فوالذي يَحْلِفُ به يا أمه لقد كسر قيدي، وما شعرت بنفسي إلا وأنا واقف بباب هذا الدار. فلما أصبحت الذميمة، أتت إلى السيدة نفيسة، وقصت عليها الخبر وأسلمت هي وابنها، وحسن إسلامها".

وعندما توقف النيل عن الزيادة في زمنها، حضر الناس إليها، وشكوا ما حصل من توقف النيل، فدفعت قناعها إليهم وقالت لهم: ألقوه في النيل، فألقوه فيه، فزاد حتى بلغ الله به المنافع.

### أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر

توجه الناس إلى السيدة نفيسة يشكون إليها ظلم أحد الولاة، فقالت لهم: متى يركب؟ فقالوا: غداً. فكتبت رقعة ووقفت في طريقه، فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه، وأخذ الرقعة منها وقرأها، فإذا فيها: "ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، ودرت عليكم الأرزاق فقطعتم، هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأجساد أعريتموها، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون، وجوروا فإننا مستجيرون، واطلموا فإننا متظلمون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾".

### مرقدتها الطاهر

يزدحم المسلمون على زيارة المشهد النفيسي والصلاة فيه، وطلب الحوائج من المولى جلّ جلاله عنده، بعد أن تسالموا على استجابة الدعاء في المرقد الطاهر. قال المقرزي: وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر. وقال السخاوي: إنه مجرب بإجابة الدعاء. وغير ذلك مما قيل عن بركة الدعاء عند مرقدتها الطاهر.